المظاهر البلاغية وصور التسلية المتماهية في سورتي الضحى والانشراح - مدخل تطبيقي -

The Rhetorical Aspects and the images of Interwoven Entertainment in Surat Al-Duha and Al-Inshirah: An Applied Introduction (A Rhetorical Study)

م . د . باسـم محمد علي السامرائي

تدريسي في كلية الإمام الأعظم - رحمه الله - الجامعة

قسم أصول الدين - ديالى

M . Dr . BASiM Mohammed Ali Jasem Al samurai

Email: dr.basim.m.ali@gmail.com

٠٧٧١٦٠٩٩٠٠٣ هـ

الملخص باللغة العربية

لقد عَنىَ بحثنا الموسوم بـ (المظاهر البلاغية وصور التسلية المتماهية في سورتي الضحى والانشراح – مدخل تطبيقي) بالأسلوب الأدبي وعناصره ومعانيه في السورتين الكريمتين، واستعان البحث بالمنهج البلاغي الذي يقترب في بعض إجراءاته من المنهج الأسلوبي، كما عَنيَ البحث بدراسة الملامح الأسلوبية، البيانية، والبديعية فيهما، ومظاهر التواشج بين الأنماط البلاغية، والأخيلة والصور، ودراسة المنهج القرآني في التسلية والتسرية المعنوية لسيدنا محمد ﷺ ولا سيما في سورتي الضحى والانشراح .

Abstract

Our research، tagged with (rhetorical manifestations and identical images of entertainment in the two surahs Al-Duha and Al-Inshirah - an applied introduction) was concerned with the literary style and its elements and meanings in the two honorable surahs. And the manifestations of intertwining between patterns، album، illusion and images، and the study of the Qur'anic method in the entertainment and comfort of our master Muhammad - may God's prayers and peace be upon him - especially in the two surahs Al-Duha and Al-Inshirah.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

المقدمـة

الحمد لله، والصلاةُ والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبهِ ومن والاه، وبعد :فإن النظر في كتاب الله ودراسة معانيه من أعظم الأعمال والعلوم التي يقوم بها المسلم، فالقرآن الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة قراءته؛ شفاء لما في الصدور.

تكمن مشكلة البحث الموسوم بـ (المظاهر البلاغية وصور التسلية المتماهية في سورتي الضحى والانشراح – مدخل تطبيقي) في فهم السورتين الكريمتين، وما تضمنته من مفردات وتراكيب، وتسليةٍ معنويةٍ لسيدنا محمد ﷺ حاول البحث خوض غمار السورتين الكريمتين للكشف عن أسرار القضايا البلاغية ومتعلقاتها المرتبطة بالتسلية المعنوية .

ويكتسبُ البحث أهميّتهُ من كونهِ يصبّ في خدمةِ كتاب الله العزيز، ومحاولتهِ استنباط التراكيب البلاغية وبيان معاني الآيات الكريمة، والوقوف عند دروس التسلية المعنوية المستندة إلى سنّة نبيّنا الكريم ﷺ والجانب العقدي المتماهي فيها .

واقتصر البحث في رحلته على سورتي الضحى والانشراح، معتمدًا على المنهج البلاغي الذي يقتربُ في بعض إجراءاته من المنهج الأسلوبي في دراسة السورتين الكريمتين .

وقد اشتمل البحثُ على ملخص ومقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وتضمنت المقدمة، بيان

أهمية البحث وأهدافه وحدوده . وتحدث التمهيد في اللمسات البيانية والأساليب البلاغية والصيغ الجمالية في السورتين . وجاء المبحث الأول بعنوان الأساليب البلاغية في سورتي الضحى والانشراح وصور التسلية المتماهية فيهما، بالمضامين الآتية:

أولاً: الأسلوب لغة واصطلاحًا .

ثانيًا: الملامح الأسلوبية في سورتي الضحى والانشراح وصور التسلية

المتماهية فيها:

ثالثًا: أساليب البيان والمعاني والبديع في سورتي الضحى والانشراح وتراكيب التسرية والتسلية فيهما .

وتناول المبحث الثاني مظاهر التواشج بين الأنماط البلاغية، في سورتي الضحى والانشراح عبر العنوانين الآتيين:

أولاً: مظاهر التواشج بين الأنماط البلاغية، في سورة الضحى وأسلوب التسليةَ المعنوية فيها .

ثانيًا: مظاهر التواشج بين الأنماط البلاغية، في سورة الانشراح وأسلوب التسلية المعنوية فيها .

وتحدث المبحث الثالث في تناسق نظم الفواصل في السورتين الكريمتين وجمال التسلية فيهما، عبر العنوانين الآتيين:

أولاً: التناسق في سورة الضحى وأثره في التسليةَ المعنوية:

ثانيًا: التناسق في سورة الانشراح وأثره في التسليةَ المعنوية:

ويهدف البحث إلى الوقوف على الأسلوب البلاغي وإماطة اللثام عن مكنونات جماله واتساقه ووقعه وتأثيره، ثمّ قفونا ذلك كلَّهُ بمصادرِ البحث ومراجعه وكان من أهمها، كتب التفسير وعلوم القرآن، والحديث الشريف، وعلوم البلاغة العربية واللغة والفقه وغيرها .

ولا ريب في أن جملة من المصاعب واجهتنا في أثناء تفحّص الآيات الكريمة بيد أن رغبتي بدراسة أساليب القرآن الكريم كان له أبلغ الأثر في تجاوز تلك المصاعب، فقد كان البحث في القرآن نعمة ومتعة في الوقت نفسه .

وختاما أسأل الله العظيم ربّ العرش العظيم أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله ربّ العالمين .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

التمهيـــــد

تكثر الملامح الأسلوبية في سياق السرد القرآني كما تكثر مظاهر التواشج بين الأنماط البلاغية، والأخيلة والصور التي ترتبط – غالباً– بالطابع الكنائي المنبعث من لغة السرد، وقد كشفت المحاولات المنهجية في هذا البحث في تتبعها لمواطن المغايرة في التعبير عن أمثلة ذات طابع توجيهي ترتبط بالحق والصواب وتطهير النفس .

وكشف أسلوب السرد في سورتي الضحى والانشراح عن جانب مهم من مكانة سيدنا النبي محمد ﷺ عند ربه تبارك تعالى،

ورصد البحث جوانب من أساليب البيان والبديع في سورتي الضحى والانشراح: (هدى، سجى، فانصب، فارغب) إذ كانت خطابًا مباشرًا لسيدنا محمد، وهذه المكونات تحوّلت بفعل الصياغة إلى مولّد دلالي، تم توظيفها بهذه الطريقة لتدخل في ظلال المعاني وتداعياتها .

وبين ثنايا سورة الضحى التفاتة في انتقال الخطاب الرّبانيّ من الخاصّ إلى العام، من سيدنا النّبيّ ﷺ إلى كلّ مؤمن وداعية، بأن يسترجع شريط حياته، ويستذكر كم مرّ بشدائد وخطوب، ثمّ أتاه الفرج من الملك المعبود .

المبحث الأول

الأساليب البلاغية في سورتي الضحى والانشراح وصور التسلية المتماهية فيهما

لاشك في أنّ الأسلوب كلمة موغلة في القدم وهي تعني مفهوم الإنسان ولغته ونشاطه في مختلف ميادين الحياة، كأسلوبه في الكتابة والخطابة والقراءة وغيرها، أما الأسلوبية فهي مصطلح حديث يَدرس الأسلوب في اللغة نطقًا أو كتابةً، وهي تمتّد امتداد اللغة والأسلوب . وإنَّ الأسلوب في نظر القدماء والمعاصرين يشمل الناحيتين المعنوية واللفظية جميعا .

أولاً: الأسلوب لغة واصطلاحًا :

أ: الأسلوب في اللغة: يقول ابن منظور (ت ٧١١ هـ): «وَيُقَالُ للسَّطْرِ مِنَ النَّخِيلِ: أُسْلوبٌ. وكلُّ طريقٍ ممتدٍّ، فَهُوَ أُسلوبٌ. قَالَ: والأُسْلوبُ الطَّرِيقُ، والوجهُ، والمَذْهَبُ؛ يُقَالُ: أَنتم فِي أُسْلُوبِ سُوءٍ، ويُجمَعُ أَساليبَ. والأُسْلُوبُ: الطريقُ تأْخذ فِيهِ. والأُسْلوبُ، بِالضَّمِّ: الفَنُّ، يُقَالُ: أَخَذ فلانٌ فِي أَساليبَ مِنَ الْقَوْلِ أَي أَفانِينَ مِنْهُ»[١]. ويعرفه الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) فيقول: «وَالْأُسْلُوبُ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ الطَّرِيقُ وَالْفَنُّ وَهُوَ عَلَى أُسْلُوبٍ مِنْ أَسَالِيبِ الْقَوْمِ أَيْ عَلَى طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِهِمْ»[٢]. وعرّفه الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) بقوله: «الأسلوب: الطريق وعنق الأسد والشموخ في الأنف»[٣]

ب - الأسلوب اصطلاحا: عرّفه الجرجاني فقال: «الضْربُ مِنَ النْظم والطريقةُ فيه»[٤]، وبين الزرقاني (ت ١٣٦٧ هـ) مفهوم الأسلوب فيقول: «أن الأسلوب هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه او هو طابع الكلام أو فنه الذي

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١ هـ)، دار صادر - بيروت، ط ٣، ١٤١٤ هـ: ١ / ٤٧٣ .

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت نحو ٧٧٠ هـ)، المكتبة العلمية - بيروت: ١ / ٢٨٤ .

(٣) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧ هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م: ١ / ٩٨ .

(٤) دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١ هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط ٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م: ١ / ٤٦٩ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

انفرد به المتكلم كذلك»[1] .

ثانيًا: الملامح الأسلوبية في سورتي الضحى والانشراح:

أ: الملامح الأسلوبية في سورة الضحى.

سورة الضحى، من السّور المكّيّة التي نزلت على سيدنا محمّد ﷺ، وعدد آياتها إحدى عشرة آية، وترتيبها في المصحف السورة الثّالثة والتّسعون، وتقع في الجزء الثّلاثين، وهي من قصار المفصل . وهي إيناس وتسلية لكل داعية يتعرض للأذى.

نزلت بعد فترة فتور ظن الكافرون أن القطيعة قد وقعت بين سيدنا محمد ﷺ وبين ربّه تبارك وتعالى، فقالوا في جملة ما قالوا: لقد قلى محمدًا ربُّه، فضاق صدر سيدنا النّبيّ ﷺ واشتدّ كربه، فأنزل الله تعالى هذه السّورة المباركة وفيضها الوارف على قلب المصطفى ﷺ فكانت له من ربّه تسلية وتسرية، وفرحًا وسرورًا، كما كان نزولها لدحض هذه الفرية ولتكون نسمة حنان حانية من الذات العلية لامست شغاف قلب النبي ﷺ ولتؤكد له استمرار الوحي، والنبي ﷺ بصفته بشرًا كان في أشد الحاجة إلى تلك النسمة الحانية فكانت هذه السورة هي النسمة، وضمن هذا الإطار النفسي سنجد أن كل لفظة، وكل تركيب، وكل دلالة إنما نبعت منه

وتعود إليه، مما يوحي بارتباط الكلام بعضه ببعض ارتباطًا شديدًا .

يقول فخر الدين الرازي: كأنه تعالى يقول: «انظر إلى جوار الليل مع النهار لا يسلم أحدهما عن الآخر بل الليل تارة يغلب وتارة ليغلب ، فكيف تسلم عن الخلق، فمرة تزداد ساعات الليل ومرة تزداد ساعات النهار ، ومرة بالعكس فلا تكلون الزيادة والنقصان لِقِلِّ بل لحكمة، وكذا الرسالة

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط ٣ : ٢ / ٣٠٣ .

وانزل الوحي بحسب المصالح ، فمرة أنزل ومرة حبس لا عن قِلىً «[١]، ولابن القيم رأيٌّ لطيف إذ يقول فيهِ: « فتأمل مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل للمقسم عليه وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه»[٢] .

وإنّ القَسَم القرآني في هذه السورة جاء بصيغة الواو مع المقسَم به (الضُّحَى) فهذه الصيغة قسم بالواو، ذلك أنّ الله تعالى لا يقسم بآياته إلا لأنّها عظيمة، وتسمى هذه الواو بالواو البيانية، وفي السورة تقابل بين صور حسيّة كل منها يقابل صورًا معنوية .

ب: الملامح الأسلوبية في سورة الانشراح

سورة الانشراح من السُّور المكية، نزلت بعد سورة الضحى، وهي من سُور المفصَّل القصيرة، عدد آياتها ثمانِ آياتٍ، وتسلسلها في ترتيب المصحف، الرابعة والتسعون، وتقع في الجزء الثلاثين. تشتمل سورة الانشرح على فواصل متنوعة تُشعر المتلقي فيها وكأنه ينتقل من إيقاع

إلى إيقاع، ومن نغمة إلى أخرى، وقد ختمت فواصلها بـ ﴿ صَدْرَكَ ﴾، ﴿ وِزْرَكَ ﴾، ﴿ ظَهْرَكَ ﴾، ﴿ ذِكْرَكَ ﴾، ﴿ يُسرًا ﴾، ﴿ يُسرًا ﴾، ﴿ فأنصبْ ﴾، ﴿ فارغب ﴾ .

إنّ من بين ما شدّ العرب إلى سماع القرآن وتدبُرِ آياته هو وجود الفاصلة القرآنية بما شكلته من انزياحٍ عما عهدوه في كلامهم ومناظراتهم، وإنّ الفاصلة القرآنية تخدم المبنى والمعنى، وبمعنى آخر

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط ٣، ١٤٢٠ هـ: ٣٠ / ٤٢٠ .

(٢) التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان: ١ / ٧٢ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

أنها تؤدي إلى قوّة الأداء اللفظي، وإلى قوّة المعنى .

ثالثًا: أساليب البيان والمعاني والبديع في سورتي الضحى والانشراح وتراكيب التسرية والتسلية فيهما :

هاتان السورتانِ المكيَّتان، كلاهُما فيهما امتنانٌ مِن الله – تعالى – على نبيِّهِ سيدنا محمد ﷺ، وافتُتحتِ الأولى بالقَسَم بالضُّحى والليل، ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ ﴾، والواو في الموضعينِ للقسم، والليل حال السجي، هو المُقسَم بهِ و ﴿ مَا وَدَّعَكَ ﴾ هو المقسم له، وهو سيدنا محمد ﷺ.

والقسم بـ ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ ﴾، وبـ ﴿ وَٱلَّيۡلِ ﴾ إذا سجى هو بيان لحالة حسية وواقع مشهود يمهد لموقف آخر؛ ولكنّهُ غير حسي ولا مشهود، وهو فتور الوحي بعد إشراقه وتجليه . وكذا في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ ﴾، شَرْحُ الصدرِ: توسعتُه حتى يتَّسِعَ لِمَا يُلْقَى إليه مِن العلم والوحي، وتسلية للنبي الهادي ﷺ.

وفي السورتين من أساليب البيان والبديع ما يأتي :

أ: أساليب البيان في سورة الضحى:

١– المَجاز العَقْلِي في قوله تعالى: ﴿ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ ﴾ أي: سكَنَ أَهْلُهُ، وفيه إسنادُ الفِعْلِ إلى زمانِهِ، «والاسناد مجازي حيث أسند السكون إلى الليل وهو لأهله»[1]

٢– الاسْتِعَارَةُ في قوله تعالى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ ﴾؛ لأنَّ التَّوْدِيعَ يكونُ في تَشْيِيعِ من هَمَّ بالْسفرِ، واسْتُعملَ في هذا النص على سبيل الاسْتِعَارَةِ، مشبهًا فتور الوحي بالتوديع، فحذَفَ المُشَبَّه، وصرَّح بالمشبَّه به، ثُمَّ اشْتَقَّ مِن، التَّوْدِيعِ، أي: الفُرْقَةِ، الفِعْلَ، ودَّعَ، على سبِيلِ الاِسْتِعَارَةِ التَّصْرِيحِيَّةِ التَّبَعِيَّةِ.

٤– الاسْتِعَارَة التصريحية التبعية في

(١) الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت ١٣٧٦ هـ)، دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، ط ٤ – ١٤١٨ هـ : ٣٠ / ٣٥٢ .

قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ ﴾، حذفَ المُشَبَّهَ، وصرَّحَ بالمُشَبَّهِ بهِ، الضّلال، شبَّه عدمَ وُجودِ الشَّريعَةِ بالضَّلالِ، وهدى، فِيهِا: إيجَازٌ بالْحَذْفِ، شبه الشريعة المحمدية بالهدى، وغيابُها بالضلال .

ب: أساليب البيان في سورة الانشراح:

١- الاستعارة التمثيلية في قولهِ تعالى: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ ﴾ إذ شبّه ربُّنا تبارك وتعالى فيها الذنوب بالحمل الثقيل الذي يُرْهِقُ كاهل الإنسان ويعجز عن حمله، وثقل الظهر يمنع من قطع مسافة السفر، وكذلك الأوزار تمنع القلب من السير إلى الله، يقول ابن درويش

(ت ١٤٠٣ ه) فيه: «استعارة تمثيلية المراد منها عصمته ﷺ من الوزر حيث لا وزر، فشبّه حاله وهو ينوء تحت ما يتخيله وزرا وليس بوزر بحال من آذاه الحمل الثقيل وبرح به الجهد والحر اللافح فهو يمشي مجهودا مكدورا يكاد يسقط من ثقل ما ينوء بحمله فوضع الوزر كناية عن عصمته وتطهيره ﷺ من دنس الأوزار»[1] .

أ: أساليب المعاني في سورة الضحى:

١- إيجازٌ بِالْحَذْف، في قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ ﴾، أي: وربِّ الضُّحَى على كونه تقدير مضاف .

٢- الإيجَازٌ بالْحَذْفِ في قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ أي: وما قلاك، وقلى: من البغض، وفيه حُذِفَ الْمَفْعُولُ بِهِ مع الجواز، لاكتفائه بالكاف الأولى ﴿ مَا وَدَّعَكَ ﴾. إنَّ الصورة الشعورية بنفي التباعد بين الخالق والمخلوق، انعكست على الواقع النفسي الذي كان يعيشه سيدنا النبي ﷺ ناهيك عن الناحية الشكلية، والجمالية في تناسب رؤوس الآي التي

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣ هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، ط ٤، ١٤١٥ هـ: ١٠ / ٥٢٢ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

تشير إلى حجم الإعجاز المبهر في هذا الذكر والحذف معا؛ الذكر في ﴿وَدَّعَكَ﴾، والحذف في ﴿قَلَى﴾، إنّ الذكر والحذف قضية لها ارتباط مباشر بالشعور النفسي وبالجمال الفني، وكلما اختلف التركيب اختلفت معه الدلالة، ففي قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿٣﴾﴾، استعير (الوداع) و(القِلى) للمفارقة، تشبيهًا بمسافرٍ فارق أهله، وفي الحقيقة أن ﴿وَدَّعَكَ﴾ من التوديع، بمعنى الدعاء واستعير هنا للمفارقة بعد الاتصال، إذ ذكر المفعول به مع الفعل (وَدَّع) وحذف المفعول به مع الفعل ﴿قَلَى﴾؛ لأنَّ أصل العبارة أن يقول: (ما ودَّعَك ربك وما قَلاك)، فلو قال: لَقَلاك؛ فذلك يعني أن الصلة مقطوعة بين الكاف والفعل . وإنَّ التواصل موجود بين سيدنا محمد ﷺ وبين ربه تبارك وتعالى، فبحذف الكاف (حذف المفعول به) انتفى انقطاع الصلة ودوامها بين النبي ﷺ وبين ربه سبحانه .

وذكر مفعول فعل التوديع، وحذف مفعول فعل (قلى)؛ لأن رؤوس الآيات بالياء ، فأوجب اتفاق الفواصل حذف الكاف، مع أنّ القرآن الكريم يراعي فواصل الآيات لكن ليس على حساب المعنى مطلقًا، وفي القرآن كلّه لا يوجد تعارض للمعنى مع الفاصلة والمقام .

وكشف الذِّكر والحذْف في سورة الضحى والانشراح عن ملمح أسلوبي جمالي، يذهب عبد القاهر الجرجاني إلى القول: «هو بابٌ دقيقُ المَسْلك، لطيفُ المأخذ، عجيبُ الأَمر، شبيهٌ بالسِّحْر، فإنكَ ترى به تَرْكَ الذِكْر، أَفْصَحَ من الذكْرِ، والصمتَ عن الإفادةِ، أَزْيَدَ للإفادة، وتَجدُكَ أَنْطَقَ ما تكونُ إذا لم تَنْطِقْ، وأَتمَّ ما تكونُ بياناً إذا لم تبن»[1]،

وفي الحديث الشريف: «إنَّه ما قلاكَ ولا قَلَى أحَدًا مِن أصحَابِك، ولا أحَدًا مِمَّنْ أحبَّكَ إلى قِيامِ القيامةِ، تقْريرًا لقولِه:

(١) دلائل الإعجاز في علم المعاني ،أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الجرجاني: ١/ ١٤٦.

الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[١] .

كشف الذكر والحذف في سورتي الضحى والانشراح عن الأثر الواضح في التسلية المعنوية التي خصّ الله تعالى بها نبيَّه ﷺ وتخصيصه بهذا العطاء عما سواه من الأنبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إلى ذلك يذهب ابْنِ عَطَاءٍ قائلاً: «فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ ﴾ شَرَحَ صَدْرَهُ لِلرُّؤْيَةِ، وَشَرَحَ صَدْرَ مُوسَى لِلْكَلاَمِ»[٢] .

٧- الإيجَاز بالْحَذْفِ للدلالة على التعميم والتفخيم في قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ ﴾، حُذِفَ الْمَفْعُولُ الثَّانِي لـ أَعْطَى، لعظَمِ العطاء لسيد الأنبياء .

يقول الإمام ابن القيّم رحمه الله: « وهذا يَعُمُّ ما يُعْطِيه مِن القُرْآنِ والْهُدَى والنَّصْرِ وكثرةِ الأتْبَاعِ ورَفْعِ ذِكْرَاهُ وإعْلاَءِ كلِمَتِه، وما يُعْطِيه بعْدَ مَمَاتِه وما يُعْطِيهِ في موْقِفِ القِيَامَةِ وما يُعْطِيهِ في الْجَنَّةِ « [٣] .

٨- الانشاء الطلبي (الاِسْتِفْهَام) الخارجة عن أصلها في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ أي: حَمْلُ الْمُخَاطَبِ على الْإِقْرارِ. وفي (آوى) إيجَازٌ بالْحَذْفِ .

٩- الاسْتِعَارَة التصريحية التبعية في قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ ﴾، حذفَ المُشَبَّهَ، وصرَّحَ بالمُشَبَّهِ بهِ، الضّلال، شبَّه عدمَ وُجودِ الشَّرِيعَةِ بالضَّلاَلِ، وهدى، فِيهِا: إيجَازٌ بالْحَذْفِ.

ب: أساليب المعاني في سورة

(١) صحيح البُخاريُّ، كتاب الأدب، باب علامة حب الله: ٦١٦٨؛ وصحيح مُسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب: ٦٨٨٨ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م: ٤ / ٥٩ .

(٣) ينظر: التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان: ١ / ٧٣ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

الانشراح:

١- الانشاء الطلبي (الاستفهام) في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ ﴾، وهذا الاستفهام للتذكير والامتنان، بنعم الواحد الديّان .

٢- بلاغة التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ﴾، إذ قدم لفظ (لك) في الموضعين و(عنك) لأجل الفاصلة ولتعجيل المسرة والتشويق إلى ما بعد قوله: ﴿ صَدْرَكَ ﴾ .

٣- الإطناب في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ ﴾، وأفاد التكرار هنا معنى ذلك في النفوس وتمكينه في القلوب .

٤- التعريف والتنكير بقصد التفخيم والتعظيم في قوله عزّ من قائلٍ: ﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾، نكر اليسر للتعظيم كأنه قال يسرٌ كبيرٌ.

أ: أساليب البديع - المحسنات المعنوية - في سورة الضحى:

١- طِبَاقٌ إيهام التَّضاد بَيْنَ ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ ﴾ و ﴿ وَٱلَّيْلِ ﴾ ؛ لأنَّ اللَّيْلَ ضِدُّهُ: النَّهارُ.

٢- طِبَاقُ الإيجاب في قوله تعالى: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ ﴾ الضحى: ٤.

٣- في قوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ ﴾، جاءت في مقابلة ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ ﴾ فإذا كان الله آواك في يتمك فلا تقهر اليتيم، وهذ أسلوب اللف والنشر المرتب، وهو من البديع، فجاء بثلاثة أشياء ثم أتبعها بثلاثة أخرى تتعلق بها على الترتيب .

٤- وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١ ﴾، دلالة النعمة التي ينبغي أن نثبتها، بدلالة البِنْيَة الفنية للنص التي انتهت بقفلة المغايرة، وهي نعمة الإسلام، التي أمر الله بنشرها وانتشارها ودعوة الناس لاتباعها والإيمان بها «[1] .

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠ هـ)، المحقق:

ب: أساليب البديع - المحسنات المعنوية - في سورة الانشراح:

١- تلطف خطاب العزيز الوهّاب تجاه سيدنا محمد ﷺ يكشف عن مكانته الرفيعة ولو نظرنا إلى قوله تعالى في معرض دعاء سيدنا موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ ﴾ طه: ٢٥ - ٢٨، لعلمنا يقينًا أنَّ الذي خلق سيدنا محمد هو من يسعى لإكرامه ﷺ، وانشراح الصدر كناية عن الاطمئنان، وقوله: ﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ ﴾، كناية عن الطلاقة في التبليغ، «نكّر العقدة، ليدل على أنه لا يسأل حل عقدة لسانه بالكلية، بل حل عقدة تمنع الإفهام»[1]، وهو في الوقت نفسه يحيل على عظم المسؤولية، وعقدة اللسان مستعارة من عقدة الحبل على سبيل علاقة المشابهة. وفي قوله تعالى: ﴿ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ ﴾ طه: ٣٠ - ٣١، تواشجٌ ظاهرٌ بين الاستعارة والكناية، فالأزر هو الظهر ويأتي بمعنى القوة هنا، والكناية تحيل على التآزر وهو معنى متطور من الأزر المشار إليه كما يبدو، والاستعارة قائمة في عملية الشدّ المستعارة من الحبل أيضاً.

ت: أساليب البديع - المحسنات اللفظية - في سورة الضحى:

١- لُزُومُ ما لَا يَلْزَمُ في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴾، فقد لَزِمَت الهَاءُ قبْلَ الرَّاءِ في هَاتيْنِ الفَاصِلَتَيْنِ، والجناس غير التام بين ﴿ تَقۡهَرۡ ﴾ و ﴿ تَنۡهَرۡ ﴾ وهو جناس لاحق.

ث: أساليب البديع - المحسنات اللفظية - في سورة الانشراح:

١- السجع المرصع في قوله تعالى: ﴿ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ

أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١ - ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م: ٢٤ / ٤٨٩

(١) الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت ١٣٧٦ هـ)، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، ط ٤ - ١٤١٨ هـ: ١٦ / ٣٦٤.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

ظَهۡرَكَ ﴿٣﴾ ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴿٨﴾ ﴾، وكشفت تراكيبُ التسرية والتسلية المعنوية عن رفع ذكرهِ ﷺ، بقوله تعالى: ﴿ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴿٤﴾ ﴾، ومعلوم أنَّ نفوس بني آدم بطبيعتها تميلُ إلى الذكر الحسن، والثناء الطيب، وسيدنا النبي ﷺ لقيَ من قومه صنوف الصدود، والردود، والمعاداة والأذى، والتكذيب، وهو الذي لُقِبَ بالصادق الأمين، فجاءت التسلية من الله العليُّ العظيم برفع ذكره وبيان عُلُوِ مقامهِ ﷺ

فلا يذكر ربُّ العزّةِ والجلال، إلا وذكرَ معه سيدنا محمد صاحبُ الحُسن والجمال ﷺ وفي ذلك يقول شاعر النبي ﷺ حسان بن ثابت الأنصاري: [1]

وضمّ الإله اسم النّبي إلى اسمه
إذ قال في الخمس المؤذّن أشهد
وشقّ له من اسمه كي يجلّه
فذو العرش محمود وهذا محمّد

المبحث الثاني
مظاهر التواشج بين الأنماط البلاغية، في سورتي الضحى والانشراح

من أساليب العرب المعروفة عندهم وجود التكرار ذلك الفن الرفيع من أساليبهم المعروفة، وفي ذلك يقول الجاحظ: « إن الناس لو استغنوا عن التكرار، وكُفُوا مؤونة البحث والتنقير لقّل اعتبارهم. ومن قّل اعتباره قّل علمه، ومن قّل علمه قّل فضله، ومن قّل فضله كثُر نقصه، ومن قّل علمه وفضله وكثُر نقصه لم يُحمد على خير أتاه، ولم يُذّم على شّر جناه » [2]، كما حاول العرب التعّرف

(١) مختارات من أجمل الشعر في مدح الرسول، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، دار المعرفة – دمشق، ط ١ – ١٤٠٨ هـ: ١ / ١٩ .

(٢) الرسائل الأدبية، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط ٢، ١٤٢٣ هـ: ٣ / ١٨١ .

على محاور هذا الاسلوب وأنماطه التي تمثّلت في «تكرار حروف وكلمات، وتكرار بدايات وفواصل، وتكرار جمل وآيات، وتكرار قصص وأنباء «[١].

أولاً: مظاهر التواشج بين الانماط البلاغية في سورة الضحى وأسلوب التسلية المعنوية فيهما:

قال تعالى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١ ﴾ الضحى: ١ – ١١ .

إنّ دلالة البِنْيَة الفنية في السورة الكريمة انتهت بقفلة المغايرة، ففي قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١ ﴾ الضحى: ١١، النعمة هنا: الإسلام . والأمر هنا: نشر هذا الدين، وكأنّ الله تعالى يقول: إنَّ كلّ الديانات السابقة خُتِمَت وخاتمتها الإسلام وختامُ الأنبياء أنت يا محمد، فإذا ما كانت البلاغة هي مراعاة المقام؛ فيقينًا إن هذه السورة المباركة حققت شروط هذه البلاغة في أعلى مستوياتها . إنّ التعبير القرآني ينزاحُ في معرض الرحمة التي غالبا ما ترتبط بالغفران، فيعدل إلى مقام آخر. وإنَّ حذف الكاف في سورة الضحى جاءَ إكراماً لسيدنا محمد ﷺ .

ويُشير الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) إلى أن: «حذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات في قوله: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ۝٣٥ ﴾ الأحزاب: ٣٥، يريد والذاكراته، ونحوه: فآوى، فهدى، فأغنى. وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف»[٢]، وقد جاء

(١) ينظر:تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، المحقق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان: ٢٣٢ – ٢٤١ .

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

هذا الحذف للإكرام والتعظيم

وقد كان لمخاطبة سيدنا محمد ﷺ بهذه اللغة المباشرة أبلغ الأثر في ارتسام الشخصية المحمدية في أذهان الناس، والتكريم الذي نتحدث فيه إنما هو جزء ضمن بنية كبيرة يمثلها نصّ السورة المنَزّل بطريقة متنامية تنسجم مع طبيعة الموقف المرتبط بسبب النزول، « إذ أبطأ الوحي عن الرسول محمد حتى شقّ ذلك عليه، وقيل: فيما قيل: ودّع محمداً ربُّه وقلاه»[1]، ويرى الباحث أن سورة الضحى وأسلوبها المحبب جاءت تكريمًا لسيدنا محمد ﷺ، فهي تتناول شخصه الكريم، وما أعطاه الله له من فضل في الدنيا والآخرة .

ثانيًا: مظاهر التواشج بين الانماط البلاغية في سورة الانشراح وأسلوب التسلية المعنوية فيها :

يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ ﴾ الانشراح: ١ – ٨.

خطاب بلغة الاستفهام الذي خرج إلى معنى (التقرير) وإذا أمعنا النظر وصوبنا البصر فإنّ شبه الجملة في قوله (لك) المتكونة من الجار والمجرور، وكذا (عنك) في الآية الثانية قد تقّدمتا على المفعول زيادة في سياق (التقرير) الذي خرج إليه الاستفهام، وجاءت الآية الثالثة لتصّور عظمة الرسالة المحمدية تمثيلاً، انسجاماً مع ثقل اهتمام النبي ﷺ بقومه، ولم يكن هذا الثقل حسيّاً ينتقض منه الظهر، ولكنه كان همّاً نفسياً كَأَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ :

«لَمْ أَشْرَحْهُ وَحْدِي بَلْ أَعْمَلْتُ فِيهِ مَلاَئِكَتِي، فَكُنْتَ تَرَى الْمَلاَئِكَةَ حَوَالَيْكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ حَتَّى يَقْوَى قَلْبُكَ، فَأَدَّيْتَ

جار الله (ت ٥٣٨ هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ : ٤ / ٧٦٦

(١) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن: ١٤٨، الكشاف: ٤/ ٢٦٣، التفسير الكبير: مج١١، ج٣١، ص: ١٩٢.

الرِّسَالَةَ وَأَنْتَ قَوِيُّ الْقَلْبِ»[١] .

وإنّ الآيات المتتالية من السورة ذاتها قد قامت على الصورة الحركية المرتبطة بالكناية التي دلّت على عظمة رسالة الإسلام، وبيانِ أهميتها، وعِظَمِ مسؤوليتها الكبيرة وأنَّ مظاهر التواشج بين الأنماط البلاغية، والأخيلة والصور في سورة الانشراح، تضمن وجوهاً من البيان والبديع التي كشفت عن جمال التسلية في مفرداتها كالامتنان والتذكير بنعم الرحمن بصيغة الاستفهام التقريري، وبطريقة الاستعارة التمثيلية التي شبهت الذنوب بحمل ثقيل يرهق كاهل الإنسان ويعجز عن حمله، وبالتنكير الذي بين تفخيم الله تعالى لنبيّه محمد ﷺ وتعظيمه، والتواشج بين الإطناب، والتكرار، والسجع المرصع، لبيان العطاء الرّباني لسيدنا محمد ﷺ الذي لم يزل شلالاً متدفقًا لبيان مكانته، ومنزلته الرفيعة.

لقد تداخلت الأنماط الأسلوبية في الكشف عن تصوراتنا، وتواشجت الاستعارة والكناية في معظم سياقات التخييل، ولو تأملنا الآيات التي تناولها البحث في سياق الكشف عن التواشج الفني فيها لوجدنا صورة الجلال والكمال والجمال تتجسد في أبهى صورها في شخصية الحبيب المحبوب ﷺ .

إنّ جمال التسلية في مفرداتها تظهرُ صورة تغليب اليسر على العسر، في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾، «تكرر اليسر لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء»[٢] أكبُر تسلية لسيدنا النبي ﷺ وعلى آله وأصحابه ومن أقتفى

(١) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط ٣، ١٤٢٠ هـ: ٣٢ / ٢٠٦ .

(٢) الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت ١٣٧٦ هـ)، دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، ط ٤ – ١٤١٨ هـ: ٣٠ / ٣٥٧ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

أثره وسار على منهجهِ إلى يوم الدين.

المبحث الثالث
تناسق نظم الفواصل في السورتين الكريمتين وجمال التسلية فيهما:

يُعَد العدول من الظواهر الأسلوبية، ويختلفُ المستوى الصّوتي عن غيره من المستويات؛ لأنَّ قاعدته ليست خارج النّص، بل هي نمط محدّد يحدثه النّص ذاته، ثمّ يعدل عنه، ومثل هذا الأمر موجودٌ في قضيّة الفاصلة القرآنية ولا سيما مواطن العدول الصوتي في سورتي الضحى والانشراح .

أولاً: التناسق في سورة الضحى وأثره في التسليةَ المعنوية:

حملت الثمانية آيات الأُولى من سورة الضحى مساحة الوقع الصوتي نفسها للفاصلة القرآنية، وكان مجيئها بتدرج مبهرٍ وبديع . بدأت السورة بالقسم (والضحى) وفيها زيادة طمأنة لسيدنا النبي ﷺ وفي الوقت ذاته هي ردع للكفار والمنافقين .

يقول الإمام السيوطي (ت: ٩١١ هـ): «وَتَأَمَّلْ مُطَابَقَةَ هَذَا الْقَسَمِ وَهُوَ نُورُ الضُّحَى الَّذِي يُوَافِي بَعْدَ ظَلاَمِ اللَّيْلِ الْمُقْسَمَ عَلَيْهِ وَهُوَ نُورُ الْوَحْيِ الَّذِي وَافَاهُ بَعْدَ احْتِبَاسِهِ عَنْهُ حَتَّى قَالَ أَعْدَاؤُهُ وَدَّعَ مُحَمَّدًا رَبُّهُ فَأَقْسَمَ بِضَوْءِ النَّهَارِ بَعْدَ ظلمة اللَّيْلِ عَلَى ضَوْءِ الْوَحْيِ وَنُورِهِ بَعْدَ ظُلْمَةِ احْتِبَاسِهِ وَاحْتِجَابِهِ «[1] .

فما أن انتقلت الفاصلة من صوت (الألف) إلى الراء ، إلا وقد انتقل قبلها المعنى الدلالي ذو الجرس المدّي (الألف) المناسب لمقام تطمين سيدنا النبي ﷺ بعد انقطاع الوحي وإخباره بعدم (التوديع ولا القلى) .

(١) الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م: ٤ / ٥٩ .

وفي السورة ابتداء بالقسم (والضحى) وتأكيد حالٍ: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ ولقد جمعت هذه الآية التكريم لسيدنا محمد ﷺ من ربه مرتين مرة بذكر المفعول مع فعل التوديع ومرة بحذف المفعول مع الفعل قلى)

ويقول الآلوسي: «لنفي صدوره من الحق سبحانه وتوجهه للرسول الكريم»[1]، وبشارة في قوله تعالى: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ الضحى: ٤، فقد جيءَ بلفظ الآخرة مقابل الأولى ولم يأت مقابل الدنيا فلم ليقل وللآخرة خير لك من الدنيا ، مع أن القرآن يقابل بين الدنيا والآخرة .

ومعناها أنّ ما يأتي من خيرٍ لك من الآن فصاعدا فيما يستقبل من عمرك هو خير لك مما نالك الأولى أي: فيما نالك من عمرك قبل نزول هذه السورة، وأكد ذلك باللام في كلمة وللآخرة . وقد حصل هذا بالفعل فكل ما استقبل من حياته ﷺ خير له مما حصل، « فلو قيل خير لك من الدنيا لما صلحت إلا في الآخرة فكأنما حصر الخير في الآخرة فقط ونفى حصول الخير فيما يستقبل من حياته ﷺ»[2] .

وفيها تذكيرٌ، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾، وفيها نهي في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾، وفيها امتنان، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ .

وحذف الكاف في سورة الضحى إكراماً وتعظيمًا لسيدنا محمد ﷺ يذكر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) إلى أن «حذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات في قوله: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ﴾

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ١٤١٥: ٣ / ٢٣ .

(٢) ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي : ١ / ٢٤٤ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

الأحزاب:٣٥، يريد والذاكراته، ونحوه: (فآوى، فهدى، فأغنى)، وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف»[١] .

ثانيًا: التناسق في سورة الضحى وأثره في التسليةَ المعنوية :

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾، جاء الخطاب بلغة الاستفهام الذي خرج إلى معنى (التقرير)، والملاحظ أن شبه الجملة في قوله (لك) المتكونة من الجار والمجرور، وكذا (عنك) في الآية الثانية قد تقّدمتا على المفعول زيادة في سياق (التقرير) الذي خرج إليه الاستفهام، وجاءت الآية الثالثة لتصّور عظمة الرسالة تمثيلاً انسجاماً مع ثقل اهتمام النبي محمد ﷺ بقومه، ولم يكن هذا الثقل «حسيّاً ينتقض منه الظهر، ولكنه كان همّاً نفسياً يفوق ألمه ألم ذلك الثقل الحسّي المُمثّل به، فعبّر عن الهَمّ الذي تبخع له النفوس بالحمل الذي يقصم الظهور»[٢] .

فجاء جمال التسلية الذي أبهج النفوس وأزاح الهموم بعد أنْ بلغ الأذى المعنوي ذروته باتهامه ﷺ بالسحر، وأنَّهُ شاعر، ومجنون، كما شمِلَ الإيذاء التعذيب، والتهجير، لكل من آمن بدعوته كلُّ ذلك كان له أبلغ الأثر في نفسيّة النبي الهادي ﷺ وأصحابه الكرام، فكان مجيء بعض السور ومنها (الضحى والانشراح) بمثابة تسريةٍ وتسلية لحضرة سيدنا النبي ﷺ، «فَتَرَ الْوَحْيُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتْرَةً مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَأَحْزَنَهُ، فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ بِسُورَةِ الضُّحَى، يُقْسِمُ لَهُ رَبُّهُ، وَهُوَ الَّذِي أَكْرَمَهُ بِمَا أَكْرَمَهُ بِهِ، مَا

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨ هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ : ٤/ ٢٦٣– ٢٦٤ .

(٢) التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (ت ١٤١٩هـ)، دار النشر: دار المعارف – القاهرة، ط ٧: ١ / ٦٦ .

وَدَّعَهُ وَمَا قَلاَهُ «[١]، وكانت حافزًا لهُ ولأصحابه ولكلِّ داعيةٍ إلى طريق الحق .

الخاتمـــــة

وانتهت رحلة بحثنا مع كتاب الله وعند سورتي الضحى والانشراح، ويقف البحث مستلهمًا أهم الملاحظات والنتائج العلمية التي توصل إليها: وتعد دراسة الملامح الأسلوبية في سورتي، الضحى والانشراح، مهمةً لبيان عمق الشخصية المحمدية ومكانتها، لما لذلك من تأثيرٍ فاعلٍ في السلوك وتطهير النفس الإنسانية في الأعمال الإبداعية ولا سيما في القرآن الكريم .

النتائج التي توصل البحث إليها:

١- أفادت القصة القرآنية من الملامح الأسلوبية المستترة في سورتي الضحى والانشراح المخاطبة لسيدنا محمد ﷺ، بسب صلتها بالذات الإلهية، إذ استمدت من تلك الصلة القوة والثبات والقيم النبيلة.

٢-إن ابرز ملمح في التصوير القرآني يقوم على توظيف (الشخصية) بطريقة تخييلية، كان الهدف منها التأسي بالشخصية الخيرة والتنفير من الشخصية الشريرة .

٣-إنَّ عملية تسجيل المعطيات الأسلوبية مركب صعب لأنَّه يرتبط بسياق القصة وتحولات الدلالة وتعدد القراءات وفي أحيان كثيرة نجده يرتبط بسب النزول وطبيعة الحبكة القصصية.

٤-تداخلت الأنماط التصويرية في الكشف عن تصوراتنا وتنشيط أخيلتنا فقد تواشجت الاستعارة والكناية في معظم سياقات التخيل .

٥-إنّ من بين ما شدّ العرب إلى سماع القرآن وتدبُرِ آياته هو وجود الفاصلة القرآنية بما شكلته من انزياحٍ عما عهدوه

(١) السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ)، المحقق: طه عبد الرءوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة : ٤ / ٢٥٥.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

في كلامهم ومناظراتهم .

٦-اللغة المباشرة في مخاطبة الله سبحانه وتعالى لنبيه سيدنا محمد ﷺ في سورة الضحى كان لها أبلغ الأثر في ارتسام رمزيّة شخصية سيدنا محمد ﷺ في أذهان الناس .

٧-اللغة المباشرة في مخاطبة الله سبحانه وتعالى لنبيه سيدنا محمد ﷺ في سورة الانشراح، قامت على الصورة الحركية المرتبطة بالكناية .

٨- التسلية المعنوية في تغليب اليسر على العسر، وبمجيء التغليب فيها أكبرُ تسلية لسيدنا النبي ﷺ وأصحابه ومن أقتفى أثره وسار على منهجهِ - صلى الله عليه وسلم- .

٩-أكرم الله تعالى نبيّهُ سيدنا محمدًا ﷺ بإنزال سورة خالصة له، نزلت بطريقة متنامية تنسجم مع طبيعة الموقف المرتبط بسبب النزول، وجاءت التسلية لشرح صدره - صلى الله عليه وسلم- وتخصيصه بهذا العطاء عما سواه من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

١٠-جاءت التسلية من الله العليِّ العظيم برفع ذكره وبيان عُلُوِ مقامهِ ﷺ فلا يذكر ربُّ العزّةِ والجلال، إلا وذكرَ معه سيدنا محمد صاحبُ الحُسن والجمال -صلى الله عليه وسلم- فكان مجيء بعض السور ومنها، الضحى والانشراح، بمثابة تسريةٍ وتسلية لحضرة سيدنا النبي ﷺ .

المصـادر والمراجـع

القرآن الكريم

١- الإتقان في علوم القرآن ،عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، تحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م .

٢- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى الدرويش(ت: ١٤٠٣ ه)، دار الشؤون الجامعية، حمص - سوريا، (دار اليمامة دمشق - بيروت)،

ط ٤ ،١٤١٥ه .
٣- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣ هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، ط ٤، ١٤١٥ هـ .
٤- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٩٧٣ م .
٥- التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان .
٦- التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة محمد علي عبد الرحمن (بنت الشاطئ) (ت: ١٤١٩ هـ)، دار المعارف – القاهرة، ط ٧ .
٧- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠ هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .
٨- الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت ١٣٧٦ هـ)، دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، ط ٤ – ١٤١٨ هـ .
٩- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢ هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٤ .
١٠- دلائل الإعجاز في علم المعاني ،أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١ ه)، تحقيق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، ط ١ .
١١- رسائل الجاحظ، أبو عثمان الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩١ م.
١٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) تحقيق:علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١٤١٥ .

١٣– السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣ هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ٢، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م .

١٤– صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط ١، ١٤٢٢ هـ .

١٥– صحيح مُسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

١٦– القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧ هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط ٨، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

القرآن الكريم

١٧– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨ هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط ٣ – ١٤٠٧ .

١٨– لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١ هـ) ، دار صادر – بيروت، ط ٣، ١٤١٤ هـ .

١٩– لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط ٣، ١٤٢٣

هـ - ٢٠٠٣ م .

٢٠- مختارات من أجمل الشعر في مدح الرسول، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، دار المعرفة - دمشق، ط ١ - ١٤٠٨ هـ .

٢١- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة .

٢٢- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة .

٢٣- مفاتيح الغيب، التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٢٠ هـ.

٢٤- من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت: ١٣٨٤ هـ)، نهضة مصر - القاهرة، ٢٠٠٥ .

٢٥- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، (ت: ١٣٦٧ هـ)، ط ٣، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .